العـــــلم والديـــــــن

اعداد
أ.د/ أحمـــد رمضـــان
أستاذ الفلسفة الاسلامية – جامعة الأزهر

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،،،

الإنسان كائن متدين بطبيعته ، لأن الدين صفة غريزية تلازمه ، وثابت في النفس الإنسانية لا تتغير ماهيته ، والإنسان مفطور عليه ، لأنه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لقوله تعالى : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [الروم : ٣٠] .

يقول الدكتور "ماكس نوردوه" عن الشعور الديني : (هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيراً ، وأعظمهم حدساً وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية) (١).

يقول " آرنست رينان " : (من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي ، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية) (٢).

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، د : محمد عبد الله دراز صـ٨٧ ، دار القلم ، الكويت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

(٢) انظر : نفس المصدر .

* وإذا كان التدين مستحيل أن ينمحي وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية ، وتيار العلم يجري بسرعة آخذاً مكانه من التقدم في كل عصر . فإن هذا يعني أن كلاً من العلم والدين موجوداً في كل المراحل التي مر بها التاريخ الإنساني ، لأن كلاً منهما مظهر من مظاهر الفكر الإنساني . وكلاً منهما يستمد ناحية من نواحي التكوين الفكري في الإنسان، فيستمد الدين من طبيعة الإنسان ، ويستمد العلم من القوة العقلية التي خص الله سبحانه وتعالى بها الإنسان دون ما عداه من الكائنات . إذاً النزاع بينهما مستحيل ، وإلا تحطمت قواعد العلم قبل أن يهتز ركن واحد من أركان الدين ، ولماذا لم ينته هذا النزاع الذي استمر أكثر من عشرين قرناً من الزمان .

وعلى فرض أن النزاع موجود ، فإن الخصومة لا تكون بين العلم والدين ، وإنما بين اللاهوت والعلم [٣]، لأن اللاهوت دين محرف .

الفصل الأول : مقدمات

أولاً : العلـم

ويشتمل على ما يلي :

١) العلم بمعناه العام :

العلم في لغة العرب ضد الجهل ، يقال علم فلان الشيء أي عرفه ، سواء كان هذا الشيء المعلوم والمعروف حقاً أم باطلاً ، صوباً أم خطأ .

هذا العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينياً كان أو غير يقينياً ، وقد يطلق على التعقل ، أو على حصول صورة الشيء في الذهن ، أو على إدراك الكلي مفهوماً كان أو حكماً ، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، أو على إدراك الشيء

(٣) انظر : بين العلم والدين ، تأليف : أندروديكسون وايت ، ترجمة : إسماعيل مظهر صـ٤- ١٩ ، دار العصور للطباعة والنشر ١٩٢٩م ، وانظر : إشكالية العلم والدين في هذا البحث .

على ما هو به حكماً ، أو على إدراك الصحيح لحقائق الأشياء وعللها ، أو على إدراك المسائل عن دليل، أو على الملكة الحاصلة عن إدراك تلك المسائل [٤].

هذا العلم يعبر عن النشاط الإنساني (عقلي أو عملي) حين يُستخدم بشكل منظم ومنهجي لتفسير وفهم موضوع ما ، فيقال : "علم التفسير" أو "علم الفقه ..." الخ فروع المعرفة الأشياء ، وأما تصنيف العلوم أو المعارف إلى دينية وطبيعية ، أو نقلية وعقلية، أو إنسانية وكونية .. فهو تصنيف يعتمد على مصادر العلم أو موضوعاته .

٢) **العلم في العصر الحديث** : حينما يطلق لفظ العلم في العصر الحديث [٥]، يراد به العلم التجريبي ، وهو مجموعة القواعد التي بنيت على الملاحظة والتجربة .

ويطلق على موضوعات متعددة حسب طبيعة الموضوع المراد دراسته ، فإذا ما تم دراسة ظاهرة فيزيقية كنا بصدد علم الفيزيقيات ، وهكذا علم الكيمياء .. علم الأحياء .. علم السياسة .. علم الاقتصاد .. العلوم الدينية .. الخ [٦].

فهو لا يدل على موضوع معين أو محدد بالذات بقدر ما يعني خصائص أو صفات مشتركة في كل نشاط عقلي إنساني حين ينصرف بشكل منظم إلى محاولة تفسير وفهم موضوعات معينة . ولهذا عرف العلم بأنه مجموعة من المعارف والحقائق والخبرات الإنسانية التي تشمل العلوم كلها "الطبيعية والإنسانية والاجتماعية" [٧].

فهو تعبير عن جهد الإنسان في البحث لفهم كل من طبيعة الإنسان الداخلية والخارجية معاً ، ووسيلة للحصول على المعرفة بهدف الكشف عن الحقيقة .

---

(٤) انظر : المعجم الفلسفي ، د : جميل صليبا جـ٢/صـ٩٩، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ١٩٨٣م .

(٥) العلم في العصر اليوناني عند أرسطو يعني الضروري والخالد ، وفي العصر الوسيط (الكنسي) يعني معرفة الله عن العالم .

(٦) انظر : العلم الطبيعي ومنهجه بين الرؤية الفلسفية والرؤية الإسلامية ، د : عبد المنعم محمد حسين صـ٣٨ ، ٣٩ ، مكتبة النهضة المصرية .

(٧) انظر : مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر/ديسمبر ٢٠٠٠م صـ٥٠ .

فهو نظرة عقلية تربط النتائج بالمقدمات ، وتستنبط القوانين من جزئياتها ، وتفسر الموجودات تفسيراً تستسيغه النفس ويطمئن إليه العقل (٨).

٣) العلم في الإسلام :

أما العلم في الإسلام فيطلق على كل ما هو نافع من الأمور، أي المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض ، فيتناول كل موجود وكل ما يوجد ، قال الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

هذا العلم هو المعرفة بالكون وبما وراء الكون ، بالوجود المادي والروحي .

إنه المعرفة بالآفاق والأنفس ، وفي نطاق ذلك يدخل العلم بالمادة أو العلم بالمفهوم الحديث . وعلى هذا فالعلم في الإسلام أوسع وأشمل من مفهوم العلم في هذا العصر لاشتماله على الجانب المادي والروحي معاً .

والقرآن الكريم يوضح أن الكون كله كتاب للعلم بالله ، كما يوضح أن التفكير في الظواهر الكونية والتعرف على نواميسها الإلهية يؤدي إلى تعميق الإيمان بالله وزيادة الخشية منه لقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ [فاطر : ٢٧، ٢٨] .

هذا العلم يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح وزيادة صلته بالله تعالى .

فهو في خدمة الدين الإسلامي ولصالح الحياة والإنسان ، يدل على ذلك :

– إطلاق لفظ العلم في قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه : ١١٤] .

(٨) انظر : الدين ، د : محمد عبد الله دراز صـ٩٠ ، دار القلم ، الكويت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

ثانياً : الـدين :

الدين في اللغة [٩] : مصدر دان دين دينا وديانة ، وهو جنس من الانقياد والذل والخضوع ، فالدين الطاعة ، وقوم دين أي مطيعون . وقال الزمخشري [١٠] : أصل الدين خوف العاقبة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والدين مصدر، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال : دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه ، كما يقال : دانه إذا أذله ، فالعبد يدين الله أي : يعبده ويطيعه ، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع كما قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٩٣]) [١١].

والدين يأتي على وجوه في اللغة ، منها :

١) الدين ما يدين به الرجل من إسلام أو غيره ، ودان بالإسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك . وهو معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان أي ذللته فذل ويقال يدين الله ويدين أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له . والدين الجزاء والدين الحساب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ .

٢) والدين السلطان ، لأنه يطيعه الناس ، يقال دنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا .

٣) الدين القرض وثمن المبيع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ** ﴾ وسمي دينا لأن فيه إلزام وذل لصاحبه . ففيه معنى الذل والطاعة .

---

(٩) ينظر : المصباح المنير ٢٠٥/١، لسان العرب ١٦٧/١٣، مقاييس اللغة ٣١٩/٢ ، تاج العروس ٣٥ /٥٩ ، تهذيب اللغة ٢٥٦/١ ، غريب القرآن ٢٢٦/١ ، النهاية في غريب الأثر ٤ /٣٦٠ ، الفتاوى الكبرى ٣٦٣/٢ ، أضواء البيان ٦/١ .

(١٠) الكشاف جـ٢/صـ٤٣ .

(١١) مجموع الفتاوى جـ٥/صـ١٥٨ .

١) مفهوم الدين في الإسلام :

الواقع أن مفهوم الدين في الإسلام واسع متعدد الجوانب رحب المعاني ، فالدين في التصوير الإسلامي ليس مذهباً فلسفياً ولا نظرية وضعية وليس مجرد طقوس جامدة، وعبادات كبرى ، وإنما هو منهج إلهي رشيد رفيع ، يقوم على أساس عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، وإفراده بالألوهية والربوبية المطلقة، وربط العبد بربه ربطاً وثيقاً عن طريق عبادات روحية وبدنية تزكي نفسه ، وتصقل وجدانه وتشعره دائماً بحقيقة العبودية لخالقه وبآصرة الأخوة الإيمانية في الله عز وجل ، والدين الحق هو الإسلام ، هو ما يدين به الناس ويتعبدون به تصديقاً ، لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] . هذا الدين هو ما شرعه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة [١٢].

هو الجامع للأصول الاعتقادية والعملية [١٣].

وجاء تعريف الدين واضحاً في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عندما جاء جبريل عليه السلام إلي نبينا محمد ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد ، فسأله عن الإسلام ؟ فقال ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . ثم سأله عن الإيمان؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . ثم سأله عن الإحسان ؟ فقال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم

(١٢) انظر : الفتاوى جـ٤/صـ٥٦ .

(١٣) انظر : الفتاوى جـ١٥/صـ١٥٩ .

تكن تراه فإنه يراك » .

قال الراوي . وهو عمر رضي الله عنه . : ثُمَّ انْطَلَقَت فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ » . قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » (١٤).

قال الإمام البخاري . رحمه الله . : بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ وَبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا (١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . : (في حديث جبرائيل : " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ". فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة) (١٦). وقال : (فإن هذه الدرجات الثلاث التي هي : الإسلام، والإيمان، والإحسان، داخلة في الدين كما قال في الحديث الصحيح : . أي : حديث جبريل هذا .) (١٧).

وقال الإمام النووي . رحمه الله . : فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها دينا (١٨).

كما نجد القرآن الكريم وضح أن الدين واحد لا يتغير بتغير الأنبياء لأنه الأصول الثابتة التي جاء بها رسل الله جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، على حين أن الشريعة مختلفة لقوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة : ٤٨] .

يقول قتادة : سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة، فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن

(١٤) صحيح مسلم جـ١/صـ٣٦ .

(١٥) صحيح البخاري جـ١/صـ٢٧ .

(١٦) مجموع الفتاوى جـ٧/صـ١٠ .

(١٧) مجموع الفتاوى جـ١٥/١٥٨ .

(١٨) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١/صـ١٦٠ .

شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل جميعاً [١٩].

٢) تعريفات للدين الإسلامي عند بعض مفكري المسلمين :

يوجد تعريفات للدين الإسلامي عند بعض مفكري الإسلام، أهمهما ما يلي :

أ) تعريف الشيخ مصطفى عبد الرازق :

عرف الشيخ مصطفى عبد الرازق الدين بقوله : (إن الدين في عرف القرآن . هو الإيمان بالأصول الدينية، والتي هي حقائق خالدة لا يدخلها الشيخ ولا تختلف فيها الأنبياء، وأن الإسلام هو هذا الدين ، إذاً لا دين غيره عند الله) [٢٠].

ب) تعريف أبو الأعلى المودودي :

يرى المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي رحمه الله : أن مفهوم الدين في التصور القرآني يعني نظاماً متكاملاً يقوم على مبادئ ، أهمها ما يلي :

أولها : الحاكمية والسلطة العليا ، وهي لا تكون إلا لله تعالى .

وثانيها : الطاعة والإذعان – من جانب العباد – لهذه السلطة والحاكمية .

وثالثها : النظام الفكري العلمي الذي تفرضه هذه السلطة على العباد لاتباع ذلك النظام والإخلاص له ، أو على التمرد عليه والعصيان له .

ورابعها : المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب [٢١].

(١٩) الدين والوحي والإسلام ، للشيخ مصطفى عبد الرازق صـ٣١ ، ٣٢ .

(٢٠) نفس المصدر صـ٩٧ .

(٢١) انظر : المصطلحات الأربعة في القرآن ، أبو الأعلى المودودي صـ٦٢ ، الطبعة الأولى ١٩٤١م .

ج) عرف الشريف الجرجاني الدين بأنه (وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل) . ويلاحظ على هذا التعريف أيضاً أنه تعريف قاصر، لأنه يركز على الجانب الغائي للدين فقط ، ويهمل بقية الجوانب الأخرى .

٤) تعريف الدكتور "محمد عبد الله دراز" وهو أكثر وضوحاً وشمولاً ودقة ، حيث يقول :

(الدين هو من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين ، أما إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حقيقة خارجة ، فإنه يعرفه بقوله : هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية ، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها) [٢٢].

وبهذا التعريف نجد أن الدين الحق لا نجده متحققاً إلا في الإسلام ، والمسلم يعرف أن الدين هو الاستسلام لله وحده ، والدين مصدر ، وأن يدين ديناً إذا خضع وذل ، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الخضوع لله وحده وأصله في القلب .

٣) الدين في تصور الفكر الغربي :

وإذا انتقلنا إلى الفكر الغربي نجد للفلاسفة الغربيين تعبيرات شتى عن الدين يتأرجحون فيها بين تصور الدين كرباط يصل الإنسان بالله ، أو شعورنا بالحاجة أو التبعية المطلقة، أو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية ... إلى غير ذلك من تعريفات تعني بجانب دون غيره التي يتضمنها الدين بالمعنى الصحيح ، من ذلك :

١) يقول "كانط" : (الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية) [٢٣].

٢) ويقول "شلاير ماخر" : (قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة) . وهذا التعريف يعني خضوع الإنسان لموجود أسمى منه .

(٢٢) انظر : الدين ، د : محمد دراز صـ٥٢ ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٢م .

(٢٣) انظر : الدين في حدود العقل ، كانط .

٣) ويقول "هربرت سبنسر" : (الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية هو العنصر الرئيسي في الدين) . وبهذا يكون الدين (هو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار) .

٤) يقول "تايلور": (الدين هو الإيمان بكائنات روحية) (٢٤).

ويقصد بالكائنات الروحية موجودات مدركة منحت سيطرة عليا على من يؤمنون بها، ويجمع هذا التعريف نفوس الموتى والقرائن والشياطين وكل ما له عنصر إلهي من الموجودات (٢٥).

٥) يقول "ماكس ميلر" : (الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره) فإن كان مقصد الفيلسوف من التصور هو أن يرتسم في الذهن صورة خيالية مجسمة للإله ، وليس مجرد الفهم والإدراك العقلي ، فإن هذا التعريف ينطبق على الأديان العليا المثالية ، أما إذا لم يكن مقصد الفيلسوف عن التطور هو هذا فإن هذه العبارة تؤدي إلى الفصل التام بين العقيدة والعقل ، كما أن الدين بهذا المفهوم يفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ولا تتصوره أذهانهم (٢٦).

٦) ويقول "ريفيل" : (الدين هو توجيه الإنسان سلوكه وفقاً لشعوره بصلة بين روحه وبني روح خفية ، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها) (٢٧).

(٢٤) انظر : نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة ، على سامي النشار صـ٢٣ .

(٢٥) انظر : الدين ، د : محمد دراز صـ٣٣- ٣٦ ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٢م .

(٢٦) انظر : المرجع السابق صـ٣٨ .

(٢٧) انظر : المرجع السابق صـ٣٥ .

٧) يقول "هنري برجسون" : (الدين هو رد فعل تقاوم به الطبيعة ما في ممارسة العقل مما قد يشل حركة الفرد ويقضي على تماسك المجتمع) (٢٨).

هذا التعريف يذهب إلى إقامة الدين على أساس المجتمع المغلق الذي يسيطر بعقائده وطقوسه على أفراده .

٨) يقول "إيميل دوركايم" : (الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (أي المعزولة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة) (٢٩).

هذا التعريف ظل مأخوذاً به من وجهة النظر الاجتماعية وأخذ به كل تلامذة "دور كايم" من المدرسة الفرنسية ومع ذلك لم يسلم من النقد ، فمدرسة الأنتروبولوجيين لم يسلموا به ، واتجهوا بتعريفاتهم إلى ناحية فردية بحتة ، ويهاجمه الأستاذ "لالاند" في معجمه الفلسفي (٣٠).

وبعضهم اعتبر الدين مرض ووهم ، مثل "فرويد"، والبعض أيضاً اعتبره أفيون الشعوب ، مثل "ماركس"، وهذه التعريفات السابقة للدين من قبل علماء الغرب ، لوحظ عليها القصور من الجوانب العديدة التي يتضمنها مفهوم الدين الحق ، ويغفل بقية الجوانب الأخرى.

ثالثاً : إشكالية العلم والدين :

إن إشكالية العلم والدين ترجع إلى الخلاف بينهما منذ القرن الخامس عشر الميلادي على تفسير بعض ظواهر الكون وتعليلها ، وذلك عقب ظهور الأسرار العلمية التي كشفت عنها التجربة والمشاهدة .

---

(٢٨) انظر : نشأة النظريات التطورية والمؤلهة ، على سامي النشار صـ٢٢ .

(٢٩) انظر : الدين ، د / محمد دراز صـ٣٨ ، دار القلم ، الكويت ١٠٨٢م .

(٣٠) انظر : نشأة النظريات التطورية والمؤلهة ، على سامي النشار صـ٢٢ .

فلقد كانت العلوم الطبيعية مرتبطة بتوجيه الكنيسة التي اعتمدت آراء "أرسطو" و "بطليموس" في الطبيعة والفلك ، واعتبرت القياس الأرسطي المنهج الوحيد للتفكير وطبقته على علم اللاهوت والطبيعة والفلك ، وأخذت هذه الآراء صفة القداسة على أساس أنها موافقة لتفسيرات الكنيسة للنصوص المقدسة ، وأن هذه التفسيرات مساوية للنصوص في القداسة . ولما انفصلت العلوم الطبيعية عن الكنيسة اتخذت طابعاً خاصاً يتمثل في المنهج هو "التجربة والملاحظة" ، والموضوع وهو "الظواهر الطبيعية" . عندئذ نشأ الخلاف بينها وبين الكنيسة التي تؤمن بأن العلوم الطبيعية يجب أن تكون خاضعة لتعاليمها .

وأن العلم لا يجب مطلقاً أن يبشر بشيء فيه أي مخالفة لظاهر ما جاءت به الأسفار المقدسة والمتون ووسائل الحواريين ، مع أن طبيعة الدين لا تدعو إلى هذا ، لأن وظيفة الدين في الواقع اجتماعية إرشادية لا تعليمية فقط ، لكن اللاهوتيين أصحاب الكنيسة جعلوا وظيفته تعليمية . لهذا نشأت الخصومة بين العلم والدين وما هي في الواقع إلا خصومة بين اللاهوت والعلم [٣١].

واستمر الصراع بينهما على أساس أن العلماء خرجوا على تعاليم الكنيسة التي كانت تقضي باحترام المنهج الأرسطي وآراء "أرسطو" و "بطليموس" في الطبيعة والفلك .

– وأهم المشكلات التي ظهر فيها الصراع بين الكنيسة والعلماء في عصر النهضة وما بعده ، هي : كروية الأرض ، وأن الشمس مركز الكون ، ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، وقوانين المادة [٣٢].

(٣١) انظر :بين الدين والعلم، تأليف : اندروديكسون وايت ، ترجمة : إسماعيل مظهر صـ١٩، دار العصور للطبع والنشر ١٩٢٩م .

(٣٢) انظر : عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس العقاد صـ٢٣– ٣٥ ، مكتبة غريب .

– والسبب في زيادة الخلاف بين الكنيسة والعلم يرجع إلى ظهور "النزعة الإنسانية" الفردية في عصر النهضة التي تكتفي بما في الطبيعة وتستغني عما وراءها ولا تدين بالدين المسيحي ، وساعد على هذا أيضاً الاهتمام بالعلم الآلي .

حيث أدى ظهور الاكتشافات العلمية إلى وجود ظواهر مختلفة في التشنيع على الكنيسة الكاثوليكية وعلى المسيحية كما تفهمها تلك الكنيسة ، وذلك لأن كثيراً من الناس ظنوا أنهم ليسوا في حاجة إلى وجود الإله والإيمان به ، وأنهم يستطيعون تفسير الكون بكل مراحله في ضوء الاكتشافات الحديثة دون اللجوء إلى الله .

ويرون أن الوسائل العلمية وأساليب البحث الحديثة قد كشفت لهم عن السبب الكامن وراء كل حادث يقع ، ويمكنهم معرفة ذلك السبب بإجراء التجربة .

فمثلاً توصل "نيوتن" خلال مشاهداته إلى أن (كل أجرام السماء من سيارات ونجوم مقيدة بقوانين ثابتة ، وأنها تتحرك بموجب تلك القوانين) .

وأظهرت بحوث "داروين" أن الإنسان لم يوجد نتيجة عملية خلق مباشر ، وإنما هو المظهر الأعلى لحشرات وكائنات بدائية ، وقد جاء إلى الوجود نتيجة عمل القوانين المادية لحقب سحيقة في الارتقاء نحو الأفضل .

وبعد إجراء هذا النوع من الدراسات اتضح أن جميع وقائع الأرض والكون مقيدة بنظام قانون الطبيعة .

وبهذا توصل العلم إلى أن هذا الكون تابع لقوانين مادية وطبيعية بعد أن كان الاعتقاد السابق أن الكون يخضع لأحكام الإله .

– وقد ازداد العلماء والفلاسفة إيماناً بهذا ، بعد استخدام تلك القوانين وظهور بعض النتائج من تجاربهم . فمثلاً :

قال "ديكارت" : (أعطوني امتداداً وحركة لأبني لكم العالم) (٣٣).

وقال الفيلسوف الألماني "كانط" : (إيتوني بالمادة وسوف أعلمكم كيف يخلق الكون منها) . وقال "هيجل" : (إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيمائية والوقت) . وأعلن نيتشه : (أن الإله قد مات) (٣٤).

وقال "أرنست هيكل": (أعطني هواء ومواد كيماوية ووقتاً وأنا أصنع إنساناً)(٣٥).

وهذا يعني أن العلماء والفلاسفة زعموا أن الكون مادي من أوله إلى آخره ، وكل حركاته ومظاهره ليست إلا عملاً مادياً أعمى ، ولا يوجد فيه أي أثر للإله الخالق . واستمر الخلاف بين الكنيسة والعلم وزاد التشنيع على الكنيسة الكاثوليكية ، ولم يتغير الوضع إلا في بداية القرن العشرين عندما تغير موقف الكنيسة من العلماء باتجاههم نحو الحد من ظاهرة إنكار ما وراء الطبيعة (٣٦).

الفصل الثاني : العلم والدين في الفكر الغربي الحديث :

أولاً : موقف الكنيسة من العلم في عصر النهضة الأوربية :

لقد كانت الكنيسة في عصر النهضة مصرة على التمسك بالمنهج القياسي الأرسطي وتطبيقه على اللاهوت والطبيعة ، حيث تمسكت ببعض الآراء الأرسطية والبطليموسية في الطبيعة والفلك على السواء ، ورفضت كل جديد لا يوافق تفسير الكنيسة للنصوص المقدسة، بينما الحركة العلمية بدأت تتحرر من القيود وتنمو في اتجاه التحول إلى استخدام المنهج التجريبي الذي لا يمكن أن يعد نتيجة لجهد شخص واحد ، والأفضل – كما يقول ريشنباخ –

(٣٣) انظر : تكوين العقل الحديث ، جون هرمان راندال جـ١/صـ٣٩٢ ، ترجمة د : جورج طعمة ، دار الثقافة ، بيروت .

(٣٤) انظر : الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان صـ٦٣ ، ٦٤ ، دار النفائس ، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م .

(٣٥) العلم يدعو إلى الإيمان صـ١٥٠ .

(٣٦) انظر : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ، د : محمود عتمان صـ٣٥ ، ٣٦ ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

(أن نفسره على أنه نتيجة لتغير في الظروف الاجتماعية ، حرر أذهان العلماء من الاهتمام بالعلم اليوناني في صورة النزعة المدرسية "الاسكلائية" وأدى بطريقة طبيعية إلى قيام علم تجريبي) (٣٧).

وكان وراء ذلك التغير عامل هام هو اتصال الأوربيين بالمسلمين عن طريق التعليم في المدارس الإسلامية في الأندلس ، واتصالهم بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية .

وهذا الاتصال مكنهم من اكتشاف الروح الإسلامية التي تحترم الفرد ، وتحترم عقله وتطلب منه أن يُحكم العقل .

وتعلموا أن إيمان المقلد غير مقبول إلا من العاجز عن التفكير ، وطلبوا من الفرد أن يستغل الطبيعة لصالح الإنسان . من أجل ذلك نمت الروح العلمية عند المسلمين ، فاحترموا العلم والعلماء وعملوا على تشجيعهم ، وفرق المسلمون بين مجالين في المعرفة وهما : مجال الطبيعة ومجال ما وراء الطبيعة ، وعرفوا أن المنهج الملائم للبحث في الطبيعة إنما هو "منهج التجربة والملاحظة "، ومارسوا التجربة والملاحظة فعلاً ووصلوا إلى كثير من الحقائق العلمية عن طريق هذا المنهج . ونقل التراث الإسلامي إلى الأوربيين في عصر النهضة وما بعدها ، فأتاح للعلم أن ينمو شيئاً فشيئاً .

– وعندما تعقد الأمر بين الكنيسة الكاثوليكية وبين العلم ، وانتشر العلم واستمال العقل الإنساني إلى جانبه لم تفلح جهود رجال الكنيسة في وقف تيار العلم الذي حسبته زيفاً في العقيدة ، لأنه خالف ما اعتمدته الكنيسة من آراء أرسطية وبطليموسية في الطبيعة والفلك .

ثم ضغطت الكنيسة على العلماء بطريقة أفزعت المفكرين وزادت في عنادهم وخروجهم عليها ، فظهر من يقول ببعض الآراء التي تخرج عن الدين فعلاً ، عناداً للكنيسة ونفوراً من رجالها .

(٣٧) نشأة الفلسفة العلمية ، هانز ريشنباخ صـ٩٤ ، ٩٥ .

– وهنا تشددت الكنيسة في المراقبة على المطبوعات ، وحكمت على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس ، أو للمجلس الذي عين للمراقبة، وأصدر المجمع المقدس عدة أحكام ، أهمها :

١) **الحرمان** : أصدر المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئًا لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئًا لم يأذن المراقب بنشره ، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يوحي إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية .

٢) **الغرامة الثقيلة** : لقد وضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (٣٨).

٣) **إحراق الكتب وتحريم قراءتها ومنع تعلمها** : لقد قاومت الكنيسة "الجمعيات العلمية والكتب" حيث أحرق الكاردينال "أكسيميتس" ثمانية آلاف كتاب في غرناطة .

وبهذا التشدد قابلت الكنيسة وخاصة كتاب "كوبرنيكوس" الذي فتح الأعين على نظرة علمية إلى الكون كله، مؤداها : أن الأرض ليست مركزاً للكون بعنت شديد . فأجمعت شعاب الكنيسة على تحريمه ، ومنع تعليمه ، وذلك لأنهم كانوا يحتمون على العلم أن يجزم بمقام الأرض في مركز الفلك ، وكانوا يحتمون أن تُجمد الأرض هنالك لتتحقق الحكمة من خلق الأحياء على التعميم وخلق الإنسان على التخصيص .

وقد كانوا يشترطون للإيمان بالقصد والتدبر في خلق الحياة على الأرض أن تكون الأرض مميزة بين العوالم العلوية والسفلية . وكانوا يحسبون أنها لا تكون مميزة إلا إذا قامت في مركز الكون كله ، وكانت الكواكب والشموس دائرة أو ثابتة من حولها ، وقد كان قيام الأرض في مركز الكون في نظرهم هو الدليل الوحيد على حكمة القصد والتدبير(٣٩).

(٣٨) انظر : المرجع السابق صـ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣٩) انظر : عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس العقاد صـ٣٢– ٣٧ .

ولم يقف تشدد الكنيسة عند حد المراقبة على المطبوعات ، لمقاومة العلم والفلسفة – عندما خيف ظهورهما – بسعي تلامذة "ابن رشد" وتلامذتهم خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا .

بل كانت وسائل التحقيق هي :

أ) حبس المتهم وتعذيبه حتى يعترف .

ب) لعن مجمع "لاتران" كل من ينظر في فلسفة ابن رشد ، واشتدت محاكم التفتيش في طلب الخارجين ، فاتخذت كل الوسائل لمطاردتهم ووصل الأمر بهذه المحاكم أن قرر مجمع "لاتران" : أن يكون من وسائله الاطلاع على أفكار الناس .

جـ) الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة، وحكمت هذه المحاكم منذ نشأتها سنة ١٤٨١– ١٨٠٨م على (٠٠٠ ر ٣٤٠) ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة ، منهم نحو (٠٠٠ ر ٢٠٠) مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياءً .

– ولم يوقف ذلك كله التيار الفكري الجديد ، فأحرق "برونو" حيًّا، لأنه قال بمذهب "كوبرنيكوس" ، وزاد على هذا أن اعتبر النجوم الثوابت شموساً لكل منها أقماره التي تدور حولها (٤٠).

– وحتى ما قصده "كريستوف كولمبس" من (محاولة اكتشاف أرض جديدة عن طريق المحيط الأطلنطي) ، أقام الكنيسة وأقعدها وقتاً طويلاً ، وقال : أن الذي أوحى إليه بذلك هو كتب ابن رشد ، فبحثت الكنيسة الأمر . وقرر مجمع "سلامانك" : أن هذا مخالف لأصول الدين ، وأعيد البحث في الأمر بعناية ، ولم يغير ذلك شيئاً .

– واضطهد وحوكم "جاليليو" لأنه قال : إن حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند

(٤٠) انظر : المرجع السابق صـ١٧٥ .

الفلكيين اليوم (٤١).

* ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حاربت الكنيسة كل ما يظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة ، فحُبِسَ "دي دو منيبس" حتى مات ، ثم حوكمت جثته وكتبه ، فحكم عليها وألقيت في النار (٤٢). وذلك لأنه قال : " إن قوس قزح ليست قوسًا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد ، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء" .

ولم يتغير الحال في عهد البروتستانت عنه في عهد الكاثوليك ، فاستمرت عقوبة الموت قانونًا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة ، وشُوي "سير فتيوس" على النار حتى مات بأمر "كلفان" ، كما أحرق "كت" وغيره (٤٣).

* وهذا الخطأ الذي وقعت فيه الكنيسة نشأ لأنها اعتنقت رأي "أرسطو" و "بطليموس" السكندري الذي عاش في القرن الثاني الميلادي ، والذي يقضي بأن (الأرض ساكنة وأن قبة السماء تتحرك حولها حاملة معها النجوم والشموس والقمر) (٤٤).

والأسباب التي كانت وراء رفض الكنيسة لرأي "كوبرنيكوس" وأتباعه تشبه مبرر الرواقيين إلى حد كبير ، خصوصاً أن الرواقية كانت تعلق العناية التي ترمي إلى سعادة الآلهة والإنسان على القول بمركزية الأرض . وبهذا تكون الكنيسة قد حاربت هذه النظرية لأسباب غير معقولة ، ولكن دفعتها إلى ذلك العادة المألوفة والفهم الخاطئ .

(٤١) انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة صـ١٥٧ ، وسوف تأتي محاكمة جاليليو بعد صـ١١ .

(٤٢) انظر : نفس المصدر .

(٤٣) انظر : الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، محمد عبده صـ٣٣ وما بعدها ، مطبعة : محمد على صبيح ١٩٥٤م .

(٤٤) انظر : نشأة الفلسفة العلمية ، هانز ريشنباخ ، ترجمة د : فؤاد زكريا صـ٩٣ ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .

ثانياً: العلم والدين في القرن السابع عشر :

لقد خفت حدة الصراع بين العلم والدين في هذا القرن ، نظراً لأن الكنيسة لم تستطع أن توقف زحف العلم ، فاستقل العلم عن الدين ، وأصبح لكل منهما منهجه وموضوعه، ولا سلطان لأحدهما على الآخر ، وكان العقل ضامناً مشتركاً لهما عند العقليين المحدثين في هذا القرن، وسيتضح هذا من خلال عرضي لنماذج من علماء وفلاسفة هذا القرن :

١) فرنسيس بيكون والفصل بين العلم والدين (١٥٦١- ١٦٢٦) :

يرى "بيكون" أن صورة العالم قد تغيرت ، فبعد أن كان العلم القديم يهدف إلى ترتيب الموجودات في أنواع وأجناس ، أصبح العلم الجديد يهدف إلى إيضاح ما في الظواهر المعقدة من عناصرها البسيطة وقوانين تركيبها للوصول إلى فنون عملية .

ولذا يعتبر "بيكون" هو أول مفكر – تقريباً – يحتفل بالتقنية البشرية ويضعها كأعلى هدف يعنيه "فنه الاختراعي الجديد"، الذي يضعه في ملاحقة مشروع نافع يجب أن يمارس على قاعدة الاستقراء المرضية (٤٥).

والقاعدة الشاملة لفلسفته كانت قاعدة علمية تتمثل في تزويد الجنس البشري بالسيطرة على قوى الطبيعة عن طريق الاكتشافات والابتكارات العلمية . ولعله من أجل ذلك كان يرى أن تظل الفلسفة منفصلة عن الدين حتى تؤدي وظيفتها دون قيود تعوق سيرها أو تعرقل حركتها . ولكنه لم يكن يعني بذلك على الإطلاق التخلي عن الدين : فقد تقبل "بيكون" الدين التقليدي الذي نشأ عليه ، ودافع عن "الحقيقة المزدوجة" .

– هذه النظرية دعا إليها في أوربا بعض أتباع "ابن رشد" – التي تقوم على أساس اعتماد حقيقتين : حقيقة الوحي وحقيقة العقل (٤٦).

(٤٥) انظر : فلسفة عصر النهضة ، إرنست بلوخ صـ١٠٦ ، دار الفكر ، دمشق .

(٤٦) انظر : دراسات في الفلسفة الحديثة ، د : محمود زقزوق صـ٤٢ .

وذلك لأنه يرى أن جميع المسائل النظرية التي تبحث – في فصل الدين عن الفلسفة – في ذات الله وحقيقته وغايته من خلق هذا العالم ، والإنسان ومصيره يجب أن تخرج عن دائرة البحث العقلي الصرف وتدخل في حدود التصديق والإيمان . ومن هنا نعلم أن "بيكون" يريد أن يحرر الفكر ويخرج الفلسفة من سلطان الدين حتى تؤدي الغرض المقصود منها .

يقول "بيكون" : (كما أن الماء ينزل بعضه من السماء ، وينبع بعضه من الأرض ، كذلك علم الإنسان ، يستفاد بعضه بالعقل والبعض الآخر بالوحي الإلهي) .

فالإلهيات عمادها كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وليس للعقل مجال في تعرف ذات الله أو صفاته ، فالعقل كالشمس إذا أشرقت وانبعث نورها في الأرجاء ، كشفت لنا حقائق العالم الأرضي ، وحجبت عنا العالم السماوي . وكذلك العقل يكشف عن حقائق الأشياء الطبيعية ، ويحجب الأسرار الإلهية . هذا والمتتبع لكلام "بيكون" يدرك أن غرضه أن يفصل بين الدين والفلسفة حتى يستقل كل منهما بوظيفته ، فليس للكتب المقدسة دخل في الفلسفة ، ولا للفلسفة دخل في عقائد الدين (٤٧).

وعلى الرغم من قول "برتراندرسل" : (أنه لمن المستحيل أن نعرف إلى أي حد كان "بيكون" مخلصاً في عقيدته الدينية) ، فإننا نستطيع أن نعرف على الأقل رأي "بيكون" في هذا الصدد من واقع كلامه هو الذي ربما كان يرد به على من اتهموه بالإلحاد . يقول "بيكون" :

(إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد ، و لكن التعمق فيها ينتهي بعقول الناس إلى الإيمان ... وإذا ما صادف عقل الإنسان أسباباً ثانوية مبعثرة (في الطبيعة) فقد يقف أحياناً عندها ، ولا يتابع السير إلى ما وراءها . ولكنه إذا أمعن النظر فشهد

(٤٧) انظر : تاريخ الفلسفة ، تأليف الأستاذين : محمد على مصطفى ، أحمد عبده خير الدين صـ٢٦٣، ٢٦٤ ، وزارة المعارف ، مطبعة الرحمانية بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٣٣م .

سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها ، فإنه لا يجد بداً من الارتماء في أحضان العناية الإلهية التسليم بالله) . وهكذا يمكن القول بأن فلسفة "بيكون" لها قاعدة ثابتة على الأرض ولكنها متصلة في نهايتها بأسباب السماء (٤٨).

والخلاصة كما قال "أندرسن" : أن "فرنسيس بيكون" يدعو إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي (٤٩).

٢) ديكارت والاستقلال المتبادل بين العلم والدين (١٥٩٦- ١٦٥٠) :

لقد جعل "ديكارت" من الطبيعة آلة استبعدت الأهداف والمعاني الروحية معاً، ووضع "ديكارت" نفسه أبحاث الضوء بالتفصيل ، ولكن أهميته تقوم في الأكثر على فكرته العامة ، فقد توصل إلى خاطر البحث عن تفسير الأشياء جميعها تفسيراً رياضياً خالصاً، وحين أخذته نشوة رؤياه ونجاحه ، قال متفاخراً :

(أعطني امتداداً وحركة لأبني لك العالم) ، فأصبح المكان أو الامتداد الحقيقة الأساسية في العالم بالنسبة لـ "ديكارت"، والحركة أصل كل تغير والرياضيات العلاقة الوحيدة بين أجزائه (٥٠).

ولقد عبر شانول chanul وهو أقرب أصدقاء "ديكارت" أفضل تعبير عن رؤيا صديقه ، إذا كتب على قبره : (حين قارن ديكارت في عزلته الشتوية أسرار الطبيعة بقوانين الرياضيات، تجرأ إلى الأمل بأن يستطيع فتح أسرار الطبيعة والرياضيات بمفتاح واحد)(٥١).

والإشارة هنا إلى الحادث الذي وجه حياة "ديكارت" بكاملها .

---

(٤٨) انظر : دراسات في الفلسفة الحديثة ، د : محمود زقزوق صـ٤٢ ، ٤٣ .

(٤٩) انظر : آفاق الفلسفة ، د : فؤاد زكريا صـ١١٦ .

(٥٠) انظر : تكوين العقل الحديث ، جون هرمان راندال جـ١/صـ٣٩٢، ترجمة د : جورج طعمة ، مراجعة الأستاذ : برهان الدين الديجاني ، دار الثقافة ، بيروت .

(٥١) انظر : نفس المصدر . صـ٣٥٥ .

فبعد أن تلقى أحسن علوم زمانه في فرنسا ، شعر بكراهية لكل ما تلقاه ما عدا الرياضيات ، فاتجه إلى "كتاب العالم الكبير" وبحث عن المعرفة في البلاطات والجيوش، وفي تجاربه مع الناس ، مقتنعاً بأنه (قد يلقي مقداراً من الحقيقة ، عند كل إنسان مفكر في قضاياه الخاصة التي إذا أخطأ فيها كانت عواقبها وخيمة عليه ، أكثر مما يلقي عند رجل أدب وعلم في مكتبته ، وهو يتأمل فيما لا يوصل إلى نتيجة) (٥٢).

ثم يقول "جون هرمان راندال" : لقد ذهب "ديكارت" أبعد من "بيكون" لأنه هو الذي نظم أفكار "جاليليو" وعممها وأشاعها بين الناس ، فقال : (إن القوة التي نستطيع بواسطتها أن نكون حكماً وأن نميز بين الخطأ والصواب – وهي الحس المشترك أو العقل– متساوية بالطبيعة بين جميع الناس ، ولا ينشأ التعداد في أفكارنا من أن بعض الناس هم عقليون أكثر من الآخرين ، ولكن فقط من أن أفكارنا تمر بطرق متنوعة ، لأنه لا يكفي أن نمتلك قوى عقلية جيدة ولكن الأمر الأساسي هو أن نحسن استعمالها) (٥٣).

ولكي يفسح "ديكارت" مكاناً أوسع (للنزعة الآلية) ويفصل عن الفكر كل ما هو مادة، فقد تعين عليه أن يضع في مجال المادة الخالصة الكائنات الحية الأخرى بخلاف الإنسان، ومن هنا نشأت نظريته في "الحيوانات بوصفها آلات" وهي النظرية التي يعبر بها في نفس الوقت عن ارتيابه في كل أهمية خاصة تعزي إلى فكرة الحياة (٥٤).

فذهب إلى أن الحيوان أشبه بالساعة المعقدة ، ولو بلغ صانع من الحذق أن صنع كلباً جمع فيه تفاصيل الأشكال والحركات التي يراها في الطبيعة ، لم يكن لدينا وسيلة

(٥٢) انظر : نفس المصدر . صـ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٥٣) انظر : المرجع السابق صـ٣٣٢ .

(٥٤) انظر : الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ، جان فال ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : فؤاد زكريا صـ٢٢ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م .

للتمييز بين ذلك الكلب المصنوع وبين الكلاب التي تنبح في منازلنا [٥٥].

ف "ديكارت" هو الذي أذاع فكرة الآلية في هذه الفترة من تاريخ الفلسفة الحديثة، وهي الفكرة التي ظهرت بصورة أوضح في كتاب "لامتري" " الإنسان الآلة"، وإلى "ديكارت" ترتد الفكرة القائلة : (أن جميع وظائف الحياة العقلية فضلاً عن المادية تعد آخر الأمر نواتج لتغيرات آلية) .

وهذا يعني تغليب النزعة الآلية في بحث الطبيعة عنده، وهي نزعة مادية في أساسها . وعلى ذلك ف (المادية) قد وجدت سنداً كبيراً في آراء "ديكارت" التي ترجع كل التغيرات في العالم الطبيعي بل وفي الإنسان ذاته ، إلى ظاهرة الحركة وإلى تأثير الأجسام بعضها في بعض.

ولهذا يرى "لانجه" أن "ديكارت" قد دفع المذهب المادي إلى الأمام دفعة قوية عندما أبدى اهتمامه المشهور بالرياضيات واتخذ منها نموذجاً لكل العلوم . صحيح أن الرياضة علم عقلي ، ذو منهج استنباطي ، وأن الطريقة الاستنباطية تتنافى مع روح المذهب المادي ، التي هي تجريبية في أساسها، ومع ذلك فقد كان "ديكارت" هو العامل الأكبر على سيطرة ذلك الجانب الرياضي من الفلسفة الطبيعية ، الذي طبق على جميع ظواهر الطبيعة معيار العدد والشكل الهندسي .

ويقتبس "لانجه" في هذا الصدد عبارة "ديكارت" المشهورة في كتاب "انفعالات النفس" وهي : أن الجسم الميت لا يكون ميتاً لأن النفس تغيب عنه ، بل لأن الآلة الجسمية ذاتها تفسد في جزء أساسي منها [٥٦].

وهذا يعني أن النفس ليست متميزة من الجسم متحيزة في نقطة فيه أو في كله بل

(٥٥) انظر : توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، د : إمام عبد الفتاح إمام صـ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥٦) انظر : الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ، جان فال صـ٢٢ .

يرد الحياة النفسية إلى الحياة الجسمية بحيث يكفي تركيب الأعضاء للإدراك [٥٧].

ثم يعلق قائلاً : (إذا تذكرنا أن كل الأفكار المتعلقة بالنفس لدى الشعوب البدائية إنما ترجع إلى مقارنة بين الجسم الحي والجسم الميت ... لرأينا على الفور في هذه النقطة الواحدة إسهاماً له أهمية في دعم المذهب المادي في المجال البشري) [٥٨].

وهذا يعني أن جميع الأعضاء يمكن أن تتحرك بموضوعات الحواس وبالأرواح الحيوانية بدون معونة النفس ، وأن الذاكرة تعتمد على آثار في المخ ، وأن الحيوان آلة يمكن بل يجب أن نفسر ما نشاهده فيه من ظواهر تبدو فكرية تفسيراً آلياً . فقال "دي لامتري": (إذا كان الحيوان يحس ويدرك ويذكر ويضاهي ويحكم ويريد بفضل تركيبه المادي فحسب، فما الداعي لوضع نفس روحية في الإنسان وهو يأتي عين تلك الأفعال ، ولا تختلف أفعاله عن أفعال الحيوان إلا بالدرجة) .

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن فلسفة "ديكارت" الثنائية ثوب ملفق من رقعتين، وقد اختار منهما "لامتري" الرقعة المادية ، ويستغني عن نفس متمايزة من الجسم متحيزة في نقطة فيه أو فيه كله ، فيرد الحياة النفسية إلى الحياة الجسمية بحيث يكفي تركيب الأعضاء للإدراك ، وتؤثر البيئة والغذاء والتربية في المزاج ، ويؤثر المزاج في الخلق [٥٩].

* ومن هنا فإن "لانجه" يذهب إلى أن "لامتري" كان على حق عندما أرْج ماديته إلى "ديكارت" ويؤكد انتسابه إليه [٦٠].

– وقد لخص "ديكارت" الاتجاه الجديد للعالم كله حين قال : (يمكن إدراك معرفة جديدة

(٥٧) انظر : آفاق الفلسفة ، د : فؤاد ذكريا صـ٢٢٨ .

(٥٨) انظر : نفس المصدر صـ٢٢٧ .

(٥٩) انظر : آفاق الفلسفة ، د : فؤاد ذكريا صـ٢٢٨ ، وتاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم صـ١٩٢ .

(٦٠) انظر : الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ، جان فال صـ٢٢ .

نافعة في الحياة . وبوسعنا أن نستعيض عن تلك الفلسفة التي كانت تدرس في المدارس القديمة في القرون الوسطى بفلسفة عملية ، وبوساطة هذه الفلسفة نستطيع إذا تمكنا من معرفة قوة النار والماء والهواء والنجوم والسماوات وجميع الأجسام التي تحيط بنا وأفعالها بذات المقدار من الوضوح الذي به نعرف مختلف الصناعات وأصحابها . نستطيع بالشكل ذاته أن نستخدمها في السبل التي أعدت من أجلها ، وبذلك نجعل أنفسنا أسياد الطبيعة ومالكيها) (٦١).

هكذا حاز العلم في هذا العصر ثقة العقل الإنساني ، وأصبح الإفراط الزائد في الثقة بنتائج العلم هي السمة العامة للعصر الحديث .

– ونظراً للنزاع القائم بين الدين والعلم في هذا العصر ، حاول "ديكارت" حل هذه المشكلة ، ففرض مبدأ الاستقلال المتبادل بين الدين والعلم . فميدان العلم الطبيعة ، وموضوعه استغلال القوى الطبيعية ، وأدواته الرياضة والتجربة ، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر ، ويعتمد على اعتقادات معينة في غاية البساطة ولا صلة لها بدقائق اللاهوت المدرسي ، فلا مضايقة بين العلم والدين ولا سلطان لأحدهما على الآخر، لأن نموهما الطبيعي والمشروع لا يجعلهما يلتقيان (٦٢).

وبهذا يكون قد ساهم مساهمة فعالة في إيجاد حل لهذا المشكلة ، لتشمل الكون بأسره بغير استثناء لأحد .

– ويرى "هوبز" أن "ديكارت" أراد مجاملة "اليسوعيين" بل منافقتهم كما فعل في أمور أخرى كثيرة يعلمها "هوبز" من علاقته بالفيلسوف الفرنسي ، فهو يعرف مثلاً أن "ديكارت" لا يؤمن بأسرار الكنيسة السبعة ، ولا بالتناول ، ولا بسر القربان . ومع ذلك يعلن إيمانه ودفاعه عن

(٦١) انظر : تكوين العقل الحديث ، جون هرمان راندال جـ١/صـ٣٣٥ .

(٦٢) انظر : المرجع السابق .

هذه الأمور ليكسب "اليسوعيين" جبناً وفاقاً [٦٣].

ولم تتوقف فعالية "ديكارت" عند هذه المساهمات ، بل أنشأ له فلسفة تحميه ذات طابع منهج عقلي حدسي . وعن طريقها رفض منطق "أرسطو" والمفاهيم الأرسطية ولم يحتفظ من الميتافيزيقا – كما يقول الدكتور "محمد غلاب" – إلا بالطبائع البسيطة مثل: الفكرة والجوهر والامتداد والوجود [٦٤]، وهو يظن أنه يقيم فلسفة تسوغ الدين المسيحي بغير ما تسوغه به فلسفة أرسطو ، فكان أن هدم الميتافيزيقا القديمة ، وأنتجت الميتافيزيقا التي أنشأها هو نتائج خطيرة أدت إلى هدم الميتافيزيقا بالكلية وخاصة بعد محاولة "كانط" وقوله بالنسبية .

وانتشرت هذه الفلسفة في أوربا كلها في حياته وبعد مماته ، فكانت هي الشغل الشاغل للأوربيين في هذا العصر [٦٥].

خلاصة :

رغم ما حدث من الكنيسة تجاه العلماء في هذا القرن ، فإن الكنيسة لم تستطع أن توقف زحف العلم ، بل استقل العلم في القرن السابع عشر عن الدين ، وأصبح لكل منهما منهجه وموضوعه ، ولا سلطان لأحدهما على الآخر .

ثالثاً : العلم والدين في القرن الثامن عشر :

لقد تملك العلم الغرور في هذا القرن حيث أدى إلى نقد التقاليد الدينية ، واعتبر الدين في حدود العقل بل يرفضه . ونتيجة لهذا ظهر في هذا القرن مذهب التأليه العقلي، وكان من ثمرته ظهور المادية الموغلة عند هولباخ ، ومثالية هذا القرن تعمل على

(٦٣) انظر : توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، د : إمام عبد الفتاح إمام صـ١٣٠ ، ١٣١ .

(٦٤) انظر : الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ، جان فال صـ١٠، المعرفة عند مفكري المسلمين، د : محمد غلاب صـ٤٤ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

(٦٥) انظر : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ، د : محمود عثمان صـ٤٩ .

المصالحة بين العلم والدين .

١) مذهب التأليه العقلي وخاصيته :

لقد ظهر في هذا القرن حلّ عقلي آخر لحل النزاع بين العلم والدين ، وظل هذا الحل ينمو حتى ساد أوربا وسمي بمذهب "التأليه العقلي" أو الدين الطبيعي . حيث احتل العقل مركز السيادة ، وأخذ لنفسه الصلاحية التي كانت للكنيسة من قبل وهي توجيه النوع الإنساني أفراداً ومجتمعات – وليس هذا فحسب ، بل أعطى لنفسه الحق في نقد الدين في أخص خصائصه ورفض كل ما لا يتفق مع أحكامه ورفض سلطة الدين في توجيه النوع الإنساني بالنسبة لسلوك أفراده وتنظيم جماعته . فنزل الدين عن عرش السيادة كمصدر أخير للمعرفة .

ومع هذا لم يفلح العقل في تقليص نفوذ الكنيسة تماماً ، وحاول "كانط" أن يكبح جماح النقد والشك باسم العلم والأخلاق ، وألح في بيان أن الفكر فاعل أصيل مركب لموضوعاته واعتقد بلزوم مادة للمعرفة تأتي من الخارج ، فحد من سلطان الفكر .

– لقد اشتهر مذهب "التأليه العقلي" وكان له أتباع كثيرون، منهم "فولتير" و "فردريك الثاني" ملك بروسيا ، والفيلسوف الألماني "كريستيان فولف" .

– والتجربة أساسية في تكوين هذا المذهب الذي يبدأ بـ "لوك" ، حيث يرى أن وجود الإله يمكن أن يستدل عليه عن طريق التجربة ، فإنني عندما أنظر إلى وجودي أجده فيه حدسياً ويمكن استخلاص وجود العالم من وجودي ، وبنفس الطريقة يمكن استخلاص وجود الله من العالم .

وإذا ما أردنا أن نحدد مذهب "التأليه العقلي" نقول : (إن الإنسان يستطيع أن يعرف كل العناصر الدينية والأخلاقية من تجاربه وتعقلاته) .والعقل عند هؤلاء يتعارض مع كل السلطات التي تخرج عن حدوده ، ولا يعترف بالعقائد التي تتعدى أفكاره البديهية أو تخرج

عن الطبيعة التي نحن جزء منها .

وبناءً على ذلك لا يعترف بالأسرار ولا بالعقائد التي أتت عن طريق الوحي ، وإنما يعترف بعقيدتين اثنتين يعطيهما صفة اليقين ، وهما :

١) وجود الله باعتباره مهندساً لهذا الكون .

٢) وخلود النفس كشرط من شروط تحقيق العدالة .

فأصحاب هذا المذهب يعتبرون آراءهم تلك في نفس الموقف الذي تقف فيه علوم الطبيعة . فأعلنوا أن الحقائق الطبيعية والأخلاقية متجانسة ، وهم لا ينسبون إلى الله أي فعل يمكن أن يتعارض مع قوانين الطبيعة الإلهية التي توصل إليها العلم .

وبطبيعة الحال : فإن هذا المذهب يتعارض مع الدين المسيحي كما هو مقرر في الكنيسة، على أساس أن الدين عندهم لا يتمثل في الوجدانات تمشياً مع الشعور بالخطيئة أو بالسقوط أو بالنجاة ... أو ما إلى ذلك من الأحاسيس التي ترافق وجوده دائماً في داخل القلوب، ولكنه يتمثل في العجائب الكونية التي حللها العلماء ليبينوا ما تحتويه من حكم دقيقة .

*** خاصية هذا المذهب :**

وخاصة هذا المذهب العقلي التأليهي : هي تجريد الدين من كل عناصره الفطرية المميزة له ، وجعله قائماً على عدة قواعد نظرية جافة ، هي أقدر على إشباع رغبة التعقل منها على إرضاء النفس الإنسانية [٦٦].

٢) المادية المسرفة :

هذه المادة من ثمار مذهب التأليه العقلي في هذا القرن . ففي عام ١٧٧٠م ظهر كتاب "هولباخ" (نظام الطبيعة) الذي أفزع الفرنسيون حيث عرض في شطره الأول فلسفته المادية المحضة . وعقب على هذا بدحض الأديان عامة والمسيحية بوجه خاص ،

(٦٦) انظر : الدين والعلم في الفلسفة المعاصرة صـ٢٢، المعرفة عند مفكري المسلمين ، د : غلاب صـ١٠٤، ١٠٥ ، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة .

وحاول أن يجتث فيه الاعتقاد بوجود الله وخلود النفس ، معلناً : أن العالم ليس إلا مادة تتحرك من تلقاء ذاتها ، منكراً كل نظرية تبشر بوجود وراء العالم الطبيعي وفوقه ، ومؤكداً اتصال هذه الموجودات المحسوسة اتصالاً آلياً ميكانيكياً محضاً ، مقراً بأن العقل ليس شيئاً إلا الجسم منظوراً إليه من ناحية بعض وظائفه .

وهذه المادية الموغلة في الغلو إلى حد إنكار الدين الطبيعي نفسه ، قد ظهرت عند "ديدرو" أحد أصدقاء "هولباخ" في دائرة المعارف "الانسيكلوبيديا" التي كان يشرف على تحريرها ويقوم بإصدارها مستعيناً بكُتّاب بارزين يتقدمهم "روسو" و "فولتير" . وكان الغرض من وضعها أن تصرف الناس عن المسيحية بما فيها من خطيئة آدم وحواء ، وتهيئهم إلى تصور العالم تصوراً جديداً تبدو فيه الحياة مريحة ناعمة ولا يعزى فيها الشر إلى نقص أصيل في الطبيعة البشرية ، بل يرد إلى فساد النظم الاجتماعية ونقص أساليب التربية)[٦٧]. وتحويل الناس عن اعتناق المسيحية إلى فهم الحياة فهماً جديداً . وقد جاهد "ديدرو" "وروسو" كلٍ بطريقته لصرف الناس عن العقائد الدينية إلى إصلاح المجتمع ، وإقناع العالم بأن سعادة الإنسان لا تتوقف على الوحي بل تقوم على التحول الاجتماعي[٦٨].

* وبناءً على هذا نجد القرن الثامن عشر يوجد لديه توكيد للعلم أدى إلى نقده التقاليد الدينية ، فاعتبر الدين في حدود العقل بل يرفضه [٦٩]. وهذا راجع إلى الغرور الذي تملك العلم فاعتز بمناهجه التجريبية ونزعته الحسية المادية حتى استخف بالدراسات الفلسفية وغيرها التي تتجاوز عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، وتتخطى دنيا الحس إلى دنيا الروح ، وكان طبيعياً أن يستهين الكثيرون من رجاله بالدين ويهزءون باللاهوت ويضنون باحترام رجاله .

(٦٧) انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة صـ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٦٨) المرجع السابق . صـ١٩٥ .

(٦٩) انظر : الفكر المادي الحديث. صـ٣٧٣ .

وكان يزعم إبان ذلك أن مناهجه ستتكفل بتيسير أسباب الحياة وتحقيق السعادة للبشرية . ثم تَبيَن أن نظرياته كثيراً ما تستغل في تدمير الحضارة وأشقاء الناس – وإن جاء هذا على كره من العلم ومناهجه – والحروب بما تعج به من آلات التخريب وأدوات التدمير شاهدة على ما تقول . ولقد أثار هذا بعض المفكرين على العلم ونزعاته المادية الحسية ، وبدءوا ينصرفون عن عالم المادة إلى عالم الروح .

– وفي غمرة هذا التطور وضح النزاع بين العلم واللاهوت . فالعلم يدرس الأشياء المحسوسة بمناهج الملاحظة والتجربة ، فإن تجاوز نطاق المحسوسات خرج عن نطاق العلم . وإن أغفل مناهج الاستقراء "التي تقوم على الملاحظة والتجربة" واصطنع المناهج العقلية أو الحدسية دخل في نطاق الفلسفة واستبعد من مجال العلم .

أما الدين فإنه غيبي وموضوعاته تقوم وراء عالم الحس ، وحقائقه تجيء عن طريق الوحي الإلهي ، لا عن طريق التجربة "التي تصدر عنها حقائق العلم" ولا عن طريق التأمل العقلي أو الحدس الباطني intuition اللذين تصدر عنهما حقائق الفلسفة .

– من هنا يبدو الخلاف بين موضوع العلم ومناهجه من ناحية ، وموضوع الدين ومصدر حقائقه من ناحية أخرى . ولكن هذا الخلاف لا يوجب بطبيعته قيام نزاع بين العلماء ورجال الدين ، لأن مناهج البحث العلمي توجب على صاحبها أن يخلص لها في دراساته حتى تنتهي به إلى نتائجها دون نظر إلى حقائق الوحي ، ومن ناحية أخرى نجد الدين يكفل حرية الباحث (٧٠).

ثم يتحدث "إميل بوترو E.BOUTROUZ عن النزاع بين الدين والعلم فيقول: خلال مراحل التاريخ مع تصالحهما مرة بعد مرة لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه ، لا أن يغلبه فحسب، على أن هذين

(٧٠) انظر : قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د : توفيق الطويل صـ٢٥٤ .

النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنما انعكست الآية منذ ذلك ، وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان [٧١].

وأثبتت الأيام بعد هذا خطأ هذا الوهم حتى جاهر أمثال "جان جاك روسو" بأن السعادة لا تكون بتقدم العلم وتسلط العقل على الحياة وإنما تكون بالارتداد إلى الطبيعة . إن السعادة التي تنشدها البشرية قد تتعذر مع تقدم العلم وشيوع مكتشفاته ويتيسر تحقيقها عن طريق الدين والفلسفة. ومن هنا خفف العلم من غروره ، ولاين الدين وأحسن ظنه بالفلسفة [٧٢].

فهرست المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

السنة النبوية المطهرة.

آفاق الفلسفة . د/ فؤاد زكريا . مكتبة مصر – ١٩٥٩م .

الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، محمد عبده ، مطبعة/محمد على صبيح ١٩٥٤م.

بين العلم والدين ، تأليف : أندروديكسون وايت ، ترجمة : إسماعيل مظهر . دار العصور للطباعة والنشر ١٩٢٩م .

تاريخ الفلسفة ، تأليف الأستاذين : محمد على مصطفى ، أحمد عبده خير الدين ، وزارة المعارف ، مطبعة الرحمانية بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٣٣م .

تاريخ الفلسفة الحديثة . يوسف كرم . دار القلم . بيروت – لبنان .

تكوين العقل الحديث ، جون هرمان راندال . جـ١ ، ترجمة د /جورج طعمة ، دار

(٧١) انظر : المرجع السابق صـ٢٥٥ .

(٧٢) انظر : المرجع السابق صـ٢٩٤.

الثقافة ، بيروت .
توماس هوبز . فيلسوف العقلانية . د/إمام عبدالفتاح إمام . دار الثقافة للنشر ١٩٨٥م .
دراسات في الفلسفة الحديثة ، د /محمود زقزوق . دار الطباعة المحمدية ١٩٨٥م .
الدين . د / محمد عبد الله دراز . دار القلم ، الكويت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .
الدين والعلم في الفلسفة المعاصرة . إميل بترو . ترجمة : د/ أحمد فؤاد الأهواني . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .
الدين والوحي والإسلام . الشيخ مصطفى عبدالرازق .
الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة /ظفر الإسلام خان ، دار النفائس ، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م .
العلم يدعوا إلى الإيمان . تأليف : أ . كريسي موريسون . ترجمة : محمود صالح الفلكي . مطبعة مصر .
العلم الطبيعي ومنهجه بين الرؤية الفلسفية والرؤية الإسلامية ، د / عبد المنعم محمد حسين . مكتبة النهضة المصرية .
عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس العقاد ، مكتبة غريب .
الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ، د /محمود عتمان ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
الفلسفة الفرنسية . من ديكارت إلى سارتر . جان فال . ترجمة : فؤاد كامل . دار الكتاب العربي . ١٩٦٨٩م .
فلسفة عصر النهضة . إرنست بلوخ . دار الفكر – دمشق .
قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د / توفيق الطويل . دار النهضة العربية . ط٣ . ١٩٧٩م .

المصطلحات الأربعة في القرآن ، أبو الأعلى المودودي ، الطبعة الأولى ١٩٤١م .
المعرفة عند مفكري المسلمين . د/محمد غلاب . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .
مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر/ديسمبر ٢٠٠٠م .
نشأة الفلسفة العلمية ، هانز ريشنباخ ، ترجمة د /فؤاد زكريا ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .
نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة ، على سامي النشار .